آليات الحجاج في خطاب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- للشباب (مقاربة تداولية)

د. جوزاء مفلح ضيغم العنزي
قسم اللغة العربية –كلية الآداب والفنون
جامعة حائل

آليات الحجاج في خطاب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- للشباب (مقاربة تداولية)

د. جوزاء مفلح ضيغم العنزي

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والفنون
جامعة حائل

تأريخ تقديم البحث: ٢٢/ ٧/ ١٤٤٤ هـ تأريخ قبول البحث: ٨/ ٩/ ١٤٤٤ هـ

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة آليات الحجاج في خطاب النبي -ﷺ- للشباب، الذي ذكرت فيه لفظة شاب أو شباب، ورغم قلة الأحاديث التي وردت فيها هذه اللفظة إلا أنها تعددت فيها الأوجه الحجاجية، فالشباب هم اللبنة الأهم في بناء المجتمع، وقد نالت هذه الفئة اهتمامًا كبيراً وعناية خاصة في خطاب النبي -ﷺ -، ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لاستظهار الرؤية التداولية من خلال الآليات الحجاجية في خطاب النبي -ﷺ- للشباب، ومن ثم تستدعي الدراسة المنهج التداولي لمقاربة هذه الآليات، مسبوقة بتمهيد، يرصد أهم مفاهيم الدراسة؛ الخطاب، الحجاج، ثم انتقلت الدراسة إلى التوقف على أبرز الآليات التداولية وأبرز الآليات اللغوية ثم الآليات البلاغية، لتصل في الخاتمة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: السلالم الحجاجية، الأفعال الإنجازية، التكرار، الاستعارة.

The Argumentative Mechanisms in the Speech of the Prophet (Peace be Upon him) for Youth: A Pragmatic Approach

Dr. Jawzaa Mefleh Dhughayim Al enizy
Department of Arabic Language - College of Arts and Literature
Hail university
Submission date: Raj.22, 1444 AH Acceptance date: Ram.8,1444 AH

Abstract:

This study addresses the argumentative mechanisms in the discourse of the Prophet –peace and blessings upon him- regarding the youth, as they are the cornerstone for the building of the society, and because this category of people gained a great and special attention in the discourse of the Prophet –peace and blessing upon him-. Based on this, this study came to highlight the pragmatic vision through the argumentative mechanisms in the discourse of the Prophet –peace and blessing upon him- regarding the youth, hence the research invoked the applied pragmatic methodology on these mechanisms, whether pragmatic, or linguistic, or rhetoric. It was preceded with a foreword that surveyed the most important concepts of the study, discourse, argument, youth. .

key words: Argumentative ladders, illocutionary act, repetition, metaphor

المقدِّمة

للخطاب النبوي الكريم مكانة في نفوس المسلمين؛ فهو مصدر الشريعة الإسلامية بعد الخطاب القرآني الكريم، وقد بلغ في البيان البشري الذروة في البلاغة والفصاحة، ونال اهتمام العلماء والباحثين في جميع الأصعدة؛ شريعة وفقهًا وتربية ولغة وغيرها، ودارت حوله الدراسات، وتعاقبت عليه التحليلات المختلفة وما جفَّ نبعه الصافي.

وكلما ظهرت نظريات حديثة في اللغة والخطاب نهرع لخطاب النبي -ﷺ- نجده سامقًا متعاليًا وافي الأركان، مع خصوصيته الدينية.

ولقد ضمَّ الخطاب النبويّ بين ثناياه إمكانيات حجاجية إقناعية تفاعلية، قامت بالغرض المقصود، والهدف السامي.

ولكون الخطاب النبوي خطابًا مفارقًا بطبيعته، اختلفت لغته وأسلوبه عن غيره، واختلاف حجاجه تبعًا لذلك، ومرجع ذلك إلى خصوصية قائله وموقف المخاطبين منه، وتفاوتهم في الجنس والعمر وأنماط التفكير، فكان لذلك التعامل مع هذا التنوُّع والاختلاف دور فاعل في توجيه دفّة الحجاج وجهة معينة، نشأت عنها آليات حجاجية معينة.

ولفئة الشباب في خطابه -ﷺ- اهتمام بالغ؛ فهم المفصل الأهم في المجتمع، وهم وقوده الذي يكسبه الطاقة الموجّهة له، وبعقولهم المتوقّدة يرتقي المجتمع وتُبنَى حضارته، فكان لخطابه الكريم أثر حاسم في تلك العقول الفتيّة، فلغته ليست مجرد أداة تبليغ، بل وسيلة تأثير وتغيير، أحدثت تغييراتٍ في العقيدة والسلوك.

وتسعى هذه الدراسة لاستظهار الرؤية التداولية، من خلال الآليات الحجاجية في خطاب النبي -ﷺ- للشباب، في ضوء المنهج التداولي الذي يقتضي دراسة اللغة في أثناء الاستعمال، وحاولت استقصاء الأحاديث الصحيحة أو الحسنة من جهة الإسناد التي وردت فيها لفظة (شاب أو مشتقاتها)، في الصحيحين والسنن، ومن ثم لا يمكن أخذ الأحاديث من كتاب بعينه .

وتقوم الدراسة على ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد، يرصد أبرز المفاهيم التي تدور فيها، وهي:

- **أولًا**: مفهوم الخطاب.
- **ثانيًا**: مفهوم الحجاج وحجاجية الخطاب النبوي.

المبحث الأول: الآليات التداولية.

المبحث الثاني: الآليات اللغوية.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية.

ولقد وجدتُ دراسات سابقة اهتم أصحابها فيها بالحجاج في خطاب النبي -ﷺ- ولكنها في تقدير البحث بعيدة عن مقصده، ومن تلك الدراسات دراسة حول خطاب النبي -ﷺ-للشباب، للباحث محمد أنس سرميني وهي: خصائص الخطاب النبوي للشباب -دراسة موضوعية تحليلية- ، مقالة منشورة بمجلة الشهاب، ٢٠٢٠م، -وكما هو واضح- فهي موضوعية تحليلية، وهذه الدراسة تناولت آليات الحجاج ومقاربتها تداوليًّا.

وهناك دراسات تلتقي مع عنوان الدراسة ومنها رسالة ماجستير في تخصص اللغويّات ولسانيات اللغة العربية بجامعة الحاج لخضر بباتنة بالجزائر للباحث هشام فرّوم وعنوانها "تجليات الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع: الأربعون النووية أنموذجاً" وقد تناولت هذه الدراسة في جانبها النظريّ مفاهيم النصّ والخطاب والحجاج وعلاقة كل منها بالتداولية والإقناع، وفي جانبها التطبيقيّ تناولت دور الأفعال اللغوية في التأثير والإقناع،كما تناولت وسائل الإثارة والتأثير اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة.

وهناك دراسة أخرى للباحثة حسنية لبحري بعنوان "الآليات الحجاجية في الحديث النبوي الشريف-أحاديث مختارة من صحيح البخاري"، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها -جامعة محمد بوقرة بو مرداس - الجزائر،٢٠١٥،وتناولت الدراسة في الجانب النظريّ مفهوم الحجاج وآلياته، وضوابط النص الحجاجي وخصائصه، وفي الجانب التطبيقيّ استخرجت الآليات الحجاجية في مجموعة أحاديث مختارة من صحيح البخاري.

وهناك دراسة أخرى للباحث آمال المغامسي دراسة الحجاج في الحديث النبوي -دراسة تداولية، وقد نشرت الدراسة في كتاب من الدار المتوسطة للنشر-تونس-٢٠١٦، وقد رصدت الدراسة في الجانب النظريّ مفهوم الحجاج وعلاقته بالجدل والبرهان والمناظرة والإقناع، وعلاقته بالبلاغة والتداولية، ثم توقفت على الحجاج في الدرس البلاغي القديم سواء عند اليونان أو العرب، ثم في الدرس البلاغي الحديث، كما تناولت مستويات الحجاج اللغوي في الحديث النبوي، وفي الجانب التطبيقيّ تناولت الدراسة الحجاج اللغوي على مستوى

الكلمة المفردة، ومستوى الجملة، كما تناولت أدوات الحجاج في الحديث النبوي.

ودراسة أخرى للباحث أرفيس بلخير بعنوان "الحجاج وأليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف" وهو بحث منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في الجزائر، في المجلد ٣٤ والعدد١، سنة ٢٠٢٠، وجاءت في مبحثين؛ الأول نظريّ تناولت مفهومي الدراسة الحجاج، الإقناع، والمبحث الثاني تطبيقيّ تناولت الإقناعية في الحديث النبوي الشريف من جهة الغاية والتي حددتها في أمرين هما؛ الأول قضوي وهو الدعوة إلى الله، والثاني إجرائي وهو اتباع الحكمة والوعظة الحسنة، ثم توقفت على آليّات الإقناع في مجموعة مختارة من الحديث الشريف وانقسمت إلى: الآليات اللغويّة، والآليات البلاغية.

وهذه الدراسات التقت مع دراستنا في مجال البحث وهو خطاب النبي- ﷺ- وفي الجانب النظري اهتمامها بمفهوم الحجاج، واختلفت عنها في تحديد مدونة الدراسة التي حددت خطاب النبي الموجه لفئة الشباب فقط، وأيضا اختلفت معها في خطة الدراسة والمنهج وطريقة التحليل والعرض، وهذا لا يعني أن الدراسة لم تفد من هذه الدراسات المباركة، بل استضاءت بها.

التمهيد

أولًا: مفهوم الخطاب

جاء في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا وهما يتخاطبان[١]، وعرَّفه الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بقوله: "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام"[٢]، "والخطاب: هو الكلام بين اثنين"[٣].

أما الآمدي (ت٦٣١هـ) فعرَّفه بأنه: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[٤].

عرّف جابر عصفور (ت١٤٤٢هـ) مفهوم الخطاب فقال: "هو العملية الاجتماعية لصنع المعنى وإعادة إنتاجه، وهو أقرب إلى الكلام بالمعنى الموجود عند دي سوسير (De Saussure)؛ أي: اللغة من حيث هي مستخدمة فعليًا بواسطة متحدثين بعيدًا عن دلالة اللغة من حيث هي نسق جامد من العلاقات، أو من حيث هي بنية ساكنة مغلقة في فضاء محايد"[٥]، أما طه

---

(١) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور، مادة،: (خطب).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري:(ص١٦٧).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (خطب).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، (٩٠/١).

(٥) آفاق العصر، (ص٦٣-٨٥).

عبدالرحمن فقال: "كل منطوق به موجّه إلى الغير؛ بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا"[١].

إذن الخطاب هو عبارة عن منطوق موجّه، يقوم بين مخاطِب ومخاطَب، ومن ثم "تكون عملية التخاطب دخولًا في علاقة بين مُخاطب مؤلف لخطابه، تأسيسًا على افتراضاته وتوقّعاته ومراميه، ومخاطب مستمع للخطاب وفي ذهنه من الافتراضات والتوقعات والقراءات، مما يجعل عمليتي الفهم والإفهام تتأثّر بتلك المعطيات"[٢].

يتبيّن مما سبق أن عملية التخاطب قائمة على أربعة عناصر، وهي:

١. المخاطِب (المتكلّم): وهو منشئ الخطاب.

٢. المخاطَب (المتلقّي): الموجّه إليه الخطاب.

٣. السياق، ويُسمَّى أيضًا الحال أو المقام، ويتضمن: (البيئة الاجتماعية، والظروف التي تحيط بالمتكلم والمتلقّي أثناء عملية التخاطب).

٤. الخطاب: وهو النص الذي أنشأه المتكلِّم.

وارتبط الخطاب بالدراسات اللسانية لظروف إنتاج النص، فهو "إنتاج لعبارات لغوية، يكون في مجموعة وحدة تواصلية، ونقصد بالوحدة التواصلية: أن يكون للعبارات اللغوية المنتجة في مقام معين غرض تواصلي معين"[٣].

---

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، (ص٢١٥).

(٢) الإقناع في الخطاب التربوي (مقاربة تواصلية حجاجية)، محمد البو زيدي، (ص٧).

(٣) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، (ص٧٩).

فاللغة في أثناء التخاطب تكون في حالة استعمال، وتأخذ صفة الخطابية، والخطاب الملفوظ يُعَدُّ أصلًا لخطابٍ مكتوبٍ، ومن ثم يتحقّق في الخطاب الملفوظ صفة التفاعل والتواصل، فيحدث الإقناع لدى المتلقين، وعلى هذا، فالخطاب لا يقوم على معيار الكم اللفظي فحسب؛ أي: لا يظهر في "الوحدات الصغرى، وإنما في الأبنية الكلية النصية"[١].

ثانيًا: مفهوم الحجاج

جاء في لسان العرب: احْتَجَّ بالشيءِ: اتخذه حُجَّة، والحُجَّة: هي الدليل والبرهان، أو ما دُوفِع به الخصم، وجمعها حُجَج وحِجاج، حاجَّة مُحاجَّة وحِجاجًا، ورجل مِحْجاجٌ؛ أي: جَدِلٌ، والتَّحاجُّ: التخاصم[٢]، أما ابن فارس (ت٣٢٩هـ) فقال: "الحاء والجيم أصلٌ يدلُّ على القصد، ومنه المَحَجّة، وهي جادة الطريق، ويقال: حاججت فلانًا، فحججته؛ أي: غلبته بالحج، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجَج، والمصدر الحِجاج"[٣].

فلفظ الحجاج يتضمن دلالة ومعنى مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي، فنجد معاني التخاصم والجدل والغلبة كعمليات مأخوذة بمعانيها الفكرية والتواصلية[٤].

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، (ص٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة: (حجج)، (٢/٢٧، ٢٨).

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (حج)، (ص٢٣٢).

(٤) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، الحبيب أعراب، (ص٩٩).

ويُعرِّف عبد الجليل العشراوي الحجاج بأنه: "عمل يتحقّق بفضل مجهود ذهني، يروم تحقيق غاية قابلة للقياس، تتمثّل في حمل المتلقّي على الإذعان لما يُطرَح عليه"(١).

وقد تنوّعت النظريات واختلفت حول مفهوم الحِجاج في هذا العصر، مما جعله مفهومًا قلقا، يصعب الإحاطة به، ودخل في كثير من العلوم، منها: الفلسفة، واللغة، والبلاغة، والإعلام، والقانون، والمنطق، والسياسة؛ لذلك كثرت مصطلحاته ومدلولاته حسب توجّهات أصحابها.

فالحجاج أسلوب يعتمد على الحوار المباشر وغير المباشر، ويقوم مستخدما وسائل الإقناع المختلفة، ومنشئه لديه حجة وبرهان، ومتلقٍّ معترض أو منكر قضية، وهذا الأسلوب يعتمد على الحجج والبراهين، وله آليات وتقنيات، يستخدمها المتكلّم لإقناع المتلقّي.

فالحجاج اليوم يُعَدُّ من أهم النظريات التي تهتم بالتداولية؛ ولهذا يضع الطريقة والأسلوب اللّذين يستخدمهما المتكلّم مدار دراسته، فالمتكلِّم يسعى إل تغيير معتقدات المتلقِّي وإقناعه بالرسالة التي يريد إيصالها له، من خلال تقديم حجج مدعّمة لرسالته بمستويات مختلفة، وبالاعتماد على آليات حجاجية تداولية وبلاغية ولغوية وغيرها.

الحجاج في الخطاب النبوي

للخطاب النبوي خصوصية وتميز وتفرّد، فهو النموذج اللغوي الأفصح على مستوى البيان البشري، تكاملت أدواته الخطابية وآلياته الحجاجية، وتوافرت في

(١) آليات الحجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب)، ص٩.

أحاديث النبي الكريم -ﷺ- كل الأبعاد التداولية الحجاجية، والخطاب النبوي لا ينبني على حجج منطقية عقلية خالصة وفق المفاهيم التي سادت في نظريات الحجاج الغربية وتطوّراتها الحديثة، فهو خطاب له خصوصيته التشريعية التربوية والتعليمية، فالإقناع والتأثير يأتيان لتحقيق غاية إبلاغيه تبليغية، "تهدف إلى تمكين مقتضى الحال في نفس المتلقي الشاهد والغائب كتمكنها في نفس المتكلم"(١)، كما يعمل "على ترسيخ مبادئ العقيدة التي جاء بها القرآن الكريم، وبناء مجتمع جديد، يحمل قيمًا عقائدية وفكرية وثقافية جديدة، يتمم النبي -ﷺ- بمقتضاها مكارم الأخلاق"(٢).

كما أن للخطاب النبوي الكريم خصوصية سياقية تداولية، لا يمكن أن ندرسه بمعزل عنها، وله خصائص أسلوبية، سواء في مستوى المعجم أم في مستوى التركيب أم في مستوى الصورة وغيرها من الخصائص الأخرى، وهي جميعها لها طاقة حجاجية تميّزها، ويُحتاج في دراستها إلى التبصُّر والتأنّي؛ لأن الحجاج في الخطاب النبوي له ميسم خاص به، وإن اشترك في خصائصه الأسلوبية مع خطابات عربية أخرى، لكن يبقى لرسول الله -ﷺ- طريقته الخاصة في استخدام الكلام، فهو خطاب إصلاح للمؤمنين بتقويم أخلاقهم وإرشادهم إلى طريق الهداية وتزكيتهم، يهدف إلى تغيير الواقع وغرس العقيدة الإسلامية فيهم، وذلك بما يشمله من آليات الحجاج المختلفة.

---

(١) مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، (ص٢١٥).

(٢) الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية)، آمال المغامسي، (ص٣٢).

ومن أبرز الصفات الحجاجية لخطاب الرسول -ﷺ- اختلاف مقاصده الشرعية وأغراضه واختلاف مستويات التلقّي، فهو خطاب عبر الزمن موجه للبشر كافة وللمسلمين خاصة، يخاطب متلقين حاضرين له ومتلقين غائبين، فلا حدود له، فمن الناحية الوظيفية هو خطاب موجَّه للتأثير في آراء المتلقّين وعقولهم وسلوكهم، وهذه العقول تختلف باختلاف أنماط التفكير كما تتباين في أعمارهم وأجناسهم، ولقد عُرِف الرسول -ﷺ- بمراعاة أحوال المخاطبين، فكان ينزلهم منازلهم اللائقة بهم، ويخاطبهم بما يتناسب معهم، فقد عُرِف عنه أنه حريص على معرفة من يلتقي به، سواء كان وافدًا أم مستفتيًا، ومن ذلك ما ورد في حديث وفد عبد القيس عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي -ﷺ- قال: «مِمَنِ الوَفْدُ -أَوْ قَالَ: الْقَوْمُ-؟ قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ -أَوْ قَالَ: الْقَوْمِ - غَيْرَ خَزَايَا، وَلا نَدَامَى»[1]، فلم يكن خطابه للرجال دون غيرهم، بل خاطب النساء وخاطب الشباب وخاطب الأطفال، وفي خطابه -ﷺ- ما يدل على رعايته وحرصه على جنسهم وعمرهم.

فالجانب الحجاجي في الخطاب يتأثّر بمقدار معرفة المتكلّم بذهنية المتلقّي وحالته النفسية والسياق الاجتماعي والثقافي، فأدواته وآلياته اللغوية والبلاغية والتداولية والمنطقية، جميعها يُحددها بناء على ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن العباس، حديث رقم (٢٠٢٠)، (٤٦٤/٣).

وخطاب الرسول -ﷺ- للشباب له آليات، يختارها بدقة وعناية، بما يتناسب مع هذه الفئة والمرحلة العمرية الحساسة والمهمة في الوقت نفسه.

المبحث الأول: الآليات التداوليّة

قبل أن أتوقف مع الآليات التداولية، أبين أن اللسانين اعتادوا "النظر إلى الخطاب اللفظي الحجاجي كخطاب يتوفّر على خاصيات بنائية، تجعله مختلفًا عن غيره من الخطابات السردية، الحكائية، الإخبارية"[(١)]، لذلك تعدُّ دراسة الخطاب الحجاجي من شؤون التداولية، ومرجع ذلك خضوع الحجاج في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقّي، ومن ثم تظهر فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية[(٢)].

وفي هذا المبحث أكشف عن أهم الآليات الحجاجية التداولية، وهي: الروابط الحجاجية، السلالم الحجاجية، الأفعال الكلامية.

أولًا: الروابط الحجاجية

تعدُّ هذه الآلية من أبرز الآليات الحجاجية التي يستند عليها التحليل الحجاجي التداولي للخطاب، فأي خطاب لغوي لا يمكن أن يخلو من الروابط الحجاجية، فالربط علاقة تقوم بين جملتين متتاليتين في السياق اللغوي، بإحدى وسائل الربط، فالخطاب بناء قائم على الانسجام والترابط بين أقسامه.

---

(١) الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي)، هاجر مدقن، (ص٤٩).

(٢) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، الحبيب أعراب، (ص١٠١).

والروابط الحجاجية: هي "جملة من الأدوات توفّرها اللغة، ويستغلها الباث؛ ليربط مفاصل الكلام ويصل بين أجزائه، فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة التي يراها مؤسس الخطاب ضرورية؛ لتضطلع الحجة المعتمدة بدورها كاملًا لانقص فيه..."[(١)]، واللغة العربية تضم عددًا كبيرًا من الروابط، ومن أبرز الروابط في خطاب النبي -ﷺ- ما ورد في حديث أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[(٢)].

١. **الواو**: تقوم الواو بالربط بين الألفاظ التي تحمل طاقة حجاجية، فتعمل على تقويتها في سُلّمية؛ للوصول إلى النتيجة المرجوّة، فالواو رابط حجاجي يرسم الحجج المتساندة ويرتّبها ويربط بينها، وتعدُّ الأداة المختصة بمبحث الوصل في علم المعاني دون غيرها من أدوات العطف، فاختصت الواو بالمزيد من النظر والبحث في أسرار الوصل بها، فالمبرّد (ت٢٨٦هـ) في المقتضب يرى أن من معاني الواو: "إشراك الثاني فيما دخل فيه

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، (ص٣١٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالأمامة، حديث رقم (٦٧٤)، (١/٤٦٥).

الأول"[1]، فهي تقنية تربط نسقيًا الحجج وتكثّفها على المتلقِّي، ومن ثم العمل على إقناعه، وبالنظر إلى الخطاب السابق نلحظ كيف قدّمت (الواو) على ربط الحجج ورتبتها في قوله: "ارجعوا...وعلموهم، ومروهم، وصلّوا.. وليؤمّكم..."، واحدة بعد الأخرى، فبدت متسلسلة مترابطة، تفضي إلى نتيجة واحدة، وهي الأخذ بوصية الرسول-ﷺ- أن يعلّموا أهلهم ومن وراءهم ما تعلّموا، وأن يُقدَّم الأكثر خبرة والأكفأ، فالواو -والتي تفيد عطف مطلق الجمع- لا تكتفي بهذه الوظيفة، بل تتعدّى إلى وظيفة الربط الحجاجي التي تستثمر دلالتها في ترتيب هذه الحجج ونسجها في خطاب متكامل مترابط.

وفي الحديث مراعاة للجوانب النفسية، والدفء العاطفي حيث التواصل مع الأهل؛ وما يبعثه على السرور، فضلا عن الفضل الذي يقدمونه لأهليهم الذين هم أولى من غيرهم.

٢. **الفاء:** من الروابط الحجاجية التي تعمل على ربط النتيجة والحجة للتعليل والتفسير، فهذا الرابط يقوم بمهمة التعليل والاستنتاج في الخطاب، والفاء تفيد الترتيب "بلا مهلة، وهذا لا ينافيها كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل، إذا كان أول أجزائه متعقّبًا لما تقدّم"[2]، فالفاء تختص بعملها دون غيرها حسب ما يقتضيه السياق وتوجبه الدواعي، فلو وضع لفظ آخر بمكانه لاختلّ المعنى، ففي قول الرسول -ﷺ-: «ارْجِعُوا إِلَى

(١) المقتضب في اللغة، (١/ ١٠).

(٢) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، محمد الخضيري، (ص٥٢).

أَهْلِيكُمْ، فَـأَقِيمُوا فِيهِمْ» نجـد أن الرابط (الفـاء) قـام بعمـل تقـارب بين الأحداث، فلم يكتفِ بمهمة الوصـل والترتيب، فالرسـول -ﷺ- طلب منهم بعد رجوعهم لأهلهم أن يقيموا عندهم قبل كل شـيء، وفي قوله: «فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ» دلَّت أيضًا على سرعة الأذان عند دخول وقت الصلاة دون مهلة فعمدت الفاء إلى التعقيب مباشرة.

٣. **إلا**: وهي أداة قصـر، تأتي إثباتًا لما يُذكر بعدها ونفيًا لما سـواها، فالمتكلِّم يلجأ لهذه الأداة للاحتجاج لما يريد، "فالكلام المثبت بعد هذه الأداة يعدُّ من أقوى الحجج التي يذكرها المتكلّم"[(١)]وقد وردت في الحديث المروي عن أنس-رضـي الله عنه- أن النبي -ﷺ- دَخَلَ عَلَى شَـابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ»؟ قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُـولَ اللَّهِ، وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»[(٢)]، وفي هذا إثبات أن اجتماع الرجاء والخوف من الله في قلب مؤمن وسيلة للنجاة والأمان.

ثانيًا: السلالم الحجاجية

تتدرج الحجج التي يقدمها المتكلِّم للوصول إلى نتيجة معينة من الحجة الأقوى إلى الأضعف، أو العكس، وتحكمها علاقة منظمة موجّهة، ويُسمَّى

(١) التقنيات الحجاجية في شعر معن بن أوس، جوزاء العنزي، (١/٦٤٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (٤٢٦٢)، (٥/٣٢٩).

هذا النظام السلّم الحجاجي، وله قوانين تحكمه وتضبطه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجّهة[١]، ولهذا السلم سمتان، هما: الأولى: الحجة التي تأتي في درجة معينة من السلم تكون الحجج التي تعلوها حججا أقوى منها، والثانية: إذا كانت الحجة التي أسفل السلم تؤدي إلى نتيجة معينة، فلا بد أن الحجج التي تسبقها تؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

وبالنظر إلى الحديث المروي عن أبي أمامة –رضي الله عنه– قال: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ, ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: "ادْنُهْ"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شَيْءٍ»[٢].

تنتظم الحجج السابقة في خطاب النبي الكريم –ﷺ– للشاب ضمن مجموعة واحدة، في صورة مقدمات تصعيدية، فالحجة التي في أعلى السلم تعدُّ

(١) ينظر: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، (ص٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، تتمة مسند الأنصار، حديث رقم (٢٢١٣٧)، (٣٦/٤٥١).

أقوى الحجج وما دونها أضعف، وهذه الحجج تدفع المتلقِّي إلى التأمُّل؛ للوصول إلى النتيجة، فرسول الأمة قدوتنا الحبيب لديه القوة الخفية في أثناء التوجيه، فاتبع أسلوب التدرُّج في إقناع الشاب للوصول إلى نتيجة، وهي أن يبغض الشاب هذه المعصية بقناعة تامة.

- أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟"
- أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟"...
- أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟"...
- أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ...
- أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ...

فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شَيْءٍ".

لقد ضمنت الحجج نمو الخطاب واستمراريته، وكان الإقناع العقلي وسيلته الأساسية، فبلغ مراده من الإقناع الى التأثير، وهذا هو ما كان يقصده الرسول -ﷺ- من الوصول إلى النتيجة (إقناع الشاب بسوء هذه المعصية حتى أبغضها)، حتى أقلع عنها طواعية وبهذا أدى الحجاج الوظيفة مع الاحتفاظ بالدلالة المرجوة، وقد أفضت الحجج المتتابعة إلى نتيجة فاعلة، وأدى الخطاب الحجاجي دوره في التحول الإيجابي، والتأثير المباشر.

وفي الحديث مراعاة لحال المتلقي، وإقناعه بما يتناسب مع فطرته، فضلا عن الحوار الهادئ والمثمر معا.

ومن الحجاج القائم على التدرج ما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: أقبل رجلٌ إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال:" أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله، قال:" فهل من والديك أحد حي" قال: نعم، بل كلاهما، قال: " فتبغي الأجر من الله" قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما"(١)

في الحديث السابق قدم النتيجة على المقدمة، حيث ذكر ابتغاء الأجر، وحسبه الشاب أنه في الجهاد، فوجهه- النبي صلى الله عليه وسلم -إلى الأولويات التي بها يحصل الأجر والغرض المقصود.

ثالثًا: الأفعال الكلامية

يقصد بالفعل الكلامي: "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقّق اللغة فعلًا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد)، غايته تغيير حال المخاطبين"(٢)، وأول خاصية تُستمَدُّ من هذا التعريف اعتبار الفعل الكلامي نشاطًا يسعى إلى تغيير الحال.

ويرى أوستن (Austen) أن الأفعال الكلامية هي في الواقع ثلاثة أفعال متزامنة: فعل لغوي، فعل إنجازي، فعل تأثيري، تهدف إلى تحقيق تغيير في الواقع(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وهما أحق به، ٤/ ١٩٧٥.

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانقونو دومنيك، ترجمة: محمد يحياتن، (ص٧).

(٣) ينظر: اللغة والحجاج، (ص٧٧).

ويميز سيرل(Searle) بين نوعين من الأفعال الكلامية، وهي: الأفعال التقريرية الوصفية (الخبر)، والأفعال الإنجازية (الإنشاء)[١].

وقد دُرِسَت نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن تقسيم الكلام إلى الخبر والإنشاء، "واهتمَّ بذلك كثير من العلماء، نحاة، وبلاغيين، وأصوليين، بل وفلاسفة، ومنطقيين"[٢]؛ أي: أنها قاربت الأفعال الكلامية دون تكلُّف أو تعسُّف، مبرزة دور اللغة العربية الإبلاغي ودورها الحجاجي التداولي.

الأفعال الإنجازية:

تبوّأت الأفعال الإنجازية في خطاب النبي -ﷺ- عامة مساحة واسعة، يعود ذلك إلى مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي، فهي تأتي بعد القرآن الكريم شارحة ومبينة له، وقد حرص النبي الكريم -ﷺ- على توجيه المسلمين وصياغة عقولهم، لذلك نجد صورًا متعددة للأفعال الإنجازية، أما بالنسبة إلى خطاب النبي -ﷺ- الموجَّه للشباب فنجد ثلاث صور كانت الأبرز، وهي: النداء، والأمر، والاستفهام.

النداء: تنبيه المنادى وطلب إصغائه وإقباله بواسطة حرف ينوب عن الفعل (أنادي) أو (أدعو)، وفي خطاب النبي الكريم -ﷺ- نجد أن النداء ليس المقصود به طلب الإقبال؛ "لأن الناس مقبلون أصلًا، ولكن المراد هو الإبقاء على قناة التواصل بين الرسول -ﷺ- والمؤمنين سالكة، عبر التنبيه المستمر؛

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (ص٨٢).

(٢) آليات الحجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب)، عبد الجليل العشراوي، (ص١٧١).

تحقيقًا للوظيفة الانتباهية"[١]، ومن ذلك قول النبي -ﷺ-: «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[٢].

قال النووي في شرح الحديث: "من استطاع منكم على أسباب الجماع ومؤن النكاح المادية، من المهر والنفقة فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ لقطع شهوته"[٣]، ومفهوم الباءة مفهوم نسبي، فهي ليست مجرد القدرة على أسباب الزواج المادية والجسدية، بل تمتد إلى القدرة النفسية والاجتماعية والعلمية، فالزواج فيه مسؤولية تحتاج لشاب قادر من جميع النواحي[٤].

ووجّه النداء في هذا الحديث لمعشر الشباب دون غيرهم، فغرضه الرئيس هو الاختصاص؛ لقوة الداعي فيهم إلى الزواج، وهذا هو منهج النبي الكريم -ﷺ- في خطاب الناس، أنه يراعي حال المخاطب عند اختيار العبارة والأسلوب المناسب، وأسلوب النداء يحمل طاقة حجاجية تأثيرية.

الاستفهام: ويكون عن طريق أدوات معينة، ويعدُّ من أنجع الأفعال الكلامية؛ لما يقوم به من شد محاور الحوار، فأسئلة المتكلِّم لا تتطلّب الأجوبة

---

(١) ظاهرة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي: مقاربة تداولية لخطبة حجة الوداع، حبيب بوزوادة، (٢٣٠/٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي -ﷺ-: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، حديث رقم (٥٠٦٤)، (٣/٧).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، (١٧٣/٩).

(٤) ينظر: خصائص الخطاب النبوي للشباب (دراسة موضوعية تحليلية)، محمد أنس سرميني، (ص٢٠٦).

المباشرة بل تتعدَّى ذلك إلى تحرير آليات التشكيل البلاغي؛ لخلق دلالات جديدة مفتوحة على التصوّر والتأويل؛ فقد يكون الاستفهام ذاته الحجة[1]، لذلك كسب أهمية في الخطاب الحجاجي، وقد جاء الاستفهام في حديث النبي -ﷺ- عندما جاءه الشاب الذي يستأذنه في معصية الزنا، فأجلسه الرسول -ﷺ- قربه، وأخذ يلقي عليه الأسئلة، قَائلًا: "أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟"، قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ, وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ, وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شَيْءٍ"[2]. لقد جاء الاستفهام في الحديث ردًّا على استفهام من المخاطب، وتعدُّ هذه الظاهرة من أبرز الظواهر الملفتة في خطاب النبي الكريم -ﷺ- عامة؛ لجعل المخاطب يتوصّل للإجابة بنفسه ويقتنع بها وتستقرّ بنفسه، وما كان السائل عن هذا الأمر العظيم يتبيّن الإجابة ويستنتج الحكم بهذه القناعة التامّة لو جاء جواب النبي الكريم -ﷺ- مباشرة؛ فقد عمد النبي

(١) ينظر: الآليات الحجاجية في مقامات بديع الزمان الهمذاني مقاربة تداولية، فتحية غزال، محمد قراش، (ص٢٤٥)

(٢) سبق تخريجه.

-ﷺ- إلى الاستفهام؛ لإقناع الشاب بقبح هذا العمل وشناعته، وكان الاستفهام أسرع الطرق وأكثرها اختصارًا، لذلك عُدَّ الاستفهام من أنجع الأفعال الإنجازية التوجيهية، فالمخاطب يدرك أن أسئلة الرسول الكريم -ﷺ- ليست استفهامًا عن مجهول، والرسول -ﷺ- لا يجهل شيئًا من هذه المعارف، لذلك "فهي حجج باعتبار قصد المرسل، لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط"(١).

ونجد أثر التداولية في التغيير الإيجابي بعد الحوار حيث امتثل الشاب وأصبح مستسلمًا مترفعًا عن فعل السوء

ومن ذلك أيضًا سؤال النبي الكريم -ﷺ- للشابِّ الذي دخل عليه وهو في الموت فقال: «كَيْفَ تَجِدُكَ»؟ قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»(٢).

تضمَّن هذا الحديث استفهامًا من الرسول الكريم -ﷺ- للشاب الذي يحتضر في قوله: "كيف تجدك"؟ فقد دخلت أداة الاستفهام (كيف) على الفعل؛ لإفادة معنى بلاغي، فلم يكن مراد الرسول -ﷺ- طلب العلم، بدلالة السياق الذي ورد فيه هذا الاستفهام والحالة النفسية للمخاطب، فأسلوب الاستفهام -والله أعلم- جاء هنا رأفة وتلطُّفًا وإيناسًا بهذا الشاب الذي يحتضر، وتسكينًا لنفسه في مقام هو بحاجة إلى مواساة، ومع ذلك لم يخلُ الحديث الشريف من رسالة نبويّة توجيهيّة من أن يجعل هذا الموقف والمقام فيه منفعة

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري، (ص٤٨٥).

(٢) سبق تخريجه.

ورسالة للمسلم، فما اجتمع الرجاء والخوف من الله في قلب عبد إلا أعطاه الله ما يرجو.

وحقَّق الاستفهام في الخطاب النبوي الفعل التأثيري، وهذا له قيمة كبيرة في تداولية الحديث في إطار التواصل؛ "لأن اللغة لا تؤدّي وظائفها إلا فيه"[(١)]، لذلك يجب علينا التعرُّف على ظروف السياق الذي أُنجِز فيه الخطاب؛ لمعرفة تأثير هذه الظروف على الخطاب المنجز.

الأمر: هو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء"، وقد وردت أفعال الأمر في خطاب النبي الكريم-ﷺ- بصيغ مختلفة، ففعل الأمر الإنجازي يهدف إلى توجيه المتلقّي إلى سلوكيات معينة وضرورة الالتزام بها، "ومن ثم فإن المتكلِّم يستخدمه للسيطرة على مجريات الأحداث، وفعل الأمر يدلُّ على الوجوب، لكن ذلك لا يتحقّق بمجرد التلفُّظ به؛ إذ لا بد من سلطة للمتكلِّم وإلا خرج فعل الأمر عن قصد التوجيه إلى معانٍ أخرى، يحدّدها سياق الكلام ومقاصد المتكلِّم، وفعل الأمر في خطاب النبي -ﷺ- يستمدُّ طاقته الإقناعية من شخصية النبي الكريم -ﷺ- وليس من ذات الصيغة، فإن الإلزام والوجوب لا يتحقّق في فعل الأمر إلا بوجود شرطين: الصيغة، والسلطة، ومن ثم فإن الوجوب في فعل الأمر ليس مسألة لغوية بل لغوية تداولية، فمكانة المتكلِّم هي التي تحدِّد دلالة الأمر على الوجوب، ولقد اكتسبت صيغة الأمر في الخطاب النبوي وظائف فنية غنية الإيحاءات والدلالات التي أنبى عنها السياق الواردة فيه، ومن ثم حقّقت أغراضًا بلاغية متعددة.

---

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري، (ص٢٢).

وقد وردت صيغة الأمر في الخطاب النبوي لخدمة أغراض معينة، تحت صيغته دلالات خفية ومعانٍ مقصودة، ومن ذلك ما جاء في حديث الرسول -ﷺ-: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»، قَالَ زَيْدٌ: «فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ, وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كتب»[(١)]، فدلالة الأمر في قوله -ﷺ-: "تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ" تضمّنت النصح والإرشاد له عندما توسّم فيه الذكاء والنباهة في هذا العمر، والرسول -ﷺ- يوقن أنه بكل قول وعمل توجيه للمسلمين، لذلك تضمَّن الأمر في خطابه توجيهًا لشباب الأمة وحثه.

وبهذا نرى أن إنجازية الأمر في الحديث حقَّق فعلًا تأثيرًا متعلقًا بالنتائج التي أحدثتها صيغة الأمر بالنسبة إلى المتلقِّي، خاصة بعد إيراد الحجج المقنعة: «فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي».

ومن توظيف الأمر على سبيل الإباحة في الحجاج ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سألته امرأة أتحج عن أبيها؟ فأجاب" حجي عنه، أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى"[(٢)]

لقد بدت علامات الانفعال واضحة، والطواعية الظاهرة، والرغبة الصادقة في بر أبيها، علها توفي ببعض حقه عليها بعد موته، ولم تجد سوى بركة الحج،

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث رقم (٢١٦١٨)، (٣٥/٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، مسند الأنصار، ٦/ ٢٤٩.

والاستفادة من جزاء الفريضة، فقصدت أن تحج عنه، فأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم[١]

والفعل اللغوي في خطاب النبي الكريم -ﷺ- الذي يخرج إليه الأمر، يعتمد على حالة المتكلِّم ومكانته بالنسبة إلى المتلقّي، وهذا من أهم أسس النظرية التداولية.

وهذه النماذج التي وقفنا عندها في خطاب النبي -ﷺ- للشباب وغيرها مما لم نبيّنه قد أظهرت القوة الإنجازية للفعل الكلامي، والمنحى الدلالي والتداولي للخطاب النبوي، فالفعالية اللغوية لا تتوقّف عند صياغة الجملة ومعرفة قيمة الحقيقة فيها، بل تتعدّاها إلى فعالية تلفّظ الجملة[٢]، ودور هذا التلفُّظ في التأثير والتغيير، وتحويل موضوع الجملة الفردي من موضع إلى آخر، "فإن تداولية الخطاب تتأسّس على فكرة القصد المزدوج الذي يحمله الملفوظ بوصفه فعلًا تمريرًا"[٣].

وبعد أن توقفنا عند الأفعال الكلامية التي وظفت في الخطاب النبوي للشباب، ووجدنا أنها خدمت الخطاب على مستوى الاستعمال اللغوي ومستوى حال المخاطب ومستوى القصد من الخطاب.

المبحث الثاني: الآليات اللغوية

---

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي، ١/ ٣٧٨.

(٢) ينظر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ناصر عمارة، (ص٧٠).

(٣) المرجع السابق، (ص٧١).

تحمل اللغة وظيفة حجاجية بطبيعتها وفي كل ظواهرها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وتعدُّ من أهم آليات الحجاج؛ لما تحمله من طرق الإقناع ووسائله، و"الحجاج يتم وفق مجموعة من التقنيات والأدوات اللغوية التي تساعد على توجيه المخاطب، من خلال استيعابه وفهمه للقول الحجاجي"[(١)]، ومن تلك الأدوات التكرار والإحالة.(الإحالة: تركيبيّة / التكرار معجميّ)

أولًا: التكرار

يعدُّ التكرار أبرز الآليات اللغوية الأساسية التي يلجأ إليها المتكلِّم؛ للتأثير في المتلقِّي، فهو يرفد الحجج والبراهين، ويعزّز طاقة الخطاب الحجاجية للإقناع، ويزيد الحجة رسوخًا في الأذهان، حيث يضغط على المتلقِّي؛ ليذعن لما يريده.

كما يقوم بسبك الكلام وربط الحجج بعضها ببعض، لذلك نجده أكثر الأساليب اللغوية دورانًا في الخطابات، يوضّح القضية ويبسطها من خلال تسليط الضوء عليها، فيجعل ذهن المتلقّي مركّزًا عليها، يقول ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) عنه: "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدًا وتشييدًا من أمره"[(٢)].

وقد أولى علماء اللغة التكرار عناية كبيرة، ففي نظرهم أن له دورًا فعّالًا في بناء الخطاب إذا راعى المتكلِّم السياق، والتزم بشروط معينة، فاستطاع نقل السامع من التلقِّي إلى الاقتناع.

---

(١) التقنيات الحجاجية في شعر معن بن أوس، جوزاء العنزي، (١/٦٤٠).

(٢) المثل السائر، (٢/١٤٧).

وقد استخدم النبي -ﷺ- هذه الآلية اللغوية بكثرة في خطابه، فأنس -رضي الله عنه- يقول عنه: "أنه كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلّم عليهم سلّم عليهم ثلاثًا"[(١)]، فالتكرار في خطابه -ﷺ- مقصود، حاملًا جزءًا من المعنى.

وقد جاء التكرار في خطاب النبي -ﷺ- بنوعيه الذي قسمه العلماء، وهما: تكرار باللفظ فقط، وتكرار باللفظ والمعنى، ومن ذلك ما جاء ضمن حوار ابن عمر مع النبي الكريم -ﷺ- عندما قال: «جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ وَأَنْ تَمَلَّ، فَاقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي عَشْرٍ، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، فَأَبَى»[(٢)].

يتجلّى التكرار هنا من خلال تكرار الرسول -ﷺ- لكلمة (فاقرأه)، فرسول الله يأمر دائمًا بالتوسُّط في العبادة والاعتدال عند تطبيقها، فهو -صلوات الله عليه- يستشعر خصائص هذه المرحلة العمرية -أي: مرحلة الشباب- من ثوران الطاقة والعاطفة الإيمانية، فجاء التكرار تنبيهًا ورفضًا لانقطاع الشباب عن واجباتهم العلمية والحياتية والانعزال عن واقعهم الأسري والاجتماعي، فلم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٢/ ١٠٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما جاء في كم يستحب يختم القرآن، حديث رقم (١٣٤٦)، (٢/٣٧٠).

يقبل المبالغة والغلو في العبادة، ورفض إقبال الشاب على عبادة دون الالتفات إلى العبادات الأخرى، وكان هذا المنهج حاضرًا في سنّته صلوات الله عليه.

فعندما أخبره ابن عمر-رضي الله عنه- بأنه قرأ القرآن كاملًا في ليلة واحدة، طلب منه قراءته في شهر، وكان ابن عمر يرى أن يستغلّ مرحلة شبابه وفتوّته لقراءة القرآن، ولكن الرسول -ﷺ- يرفض هذا السلوك في العبادة، وقد ظهر ذلك من خلال آلية التكرار، مستغلًا حمولتها الحجاجية؛ لإقناع ابن عمر، وتوجيه الشاب المسلم الضمني من خلال تلقّيه هذا الحديث.

وفي حديث الشاب الذي مرَّ معنا آنفًا، الذي استأذن الرسول -ﷺ- في الزنا، كرَّر الرسول -ﷺ- أسلوب الاستفهام (أفتحبه)؛ ليدعم طاقة الخطاب الحجاجي، ويقنع الشاب بحرمة هذا الفعل، فلا تهاون فيه، والشباب مرحلة اشتعال الشهوة، والرسول -ﷺ- يدرك ذلك، فأراد أن يقنع الشاب من خلال التكرار، ويؤكّد له ويرسخ في ذهنه عواقب هذه الشهوة على مجتمعه إذا لم تُكبَح، فخطرها عظيم على المجتمع؛ فهي تدمّر القيم التي أمر الله بتأسيس المجتمع عليها، فعمد عليه الصلاة والسلام إلى توجيه هذا الشاب إلى العفّة؛ ففي صلاح الشاب صلاح المجتمع كله، وهذا ما دلَّت عليها جملة: "فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شَيْءٍ".

ولا شك أن بنية التكرار هنا ضرورة استدعاها المقام، وألحَّ في طلبها السياق، فارتبطت البنى التكرارية بدرجة كبيرة بالتأثير في المتلقّي وتوجيهه، لذلك يعدُّ عتبة دلالية وتداولية، فهو يحمل قوة إنجازية، تستلزمها الجمل والعبارات، ويمثّل شحنة تأثيرية في المتلقّي كما لو أنه بنية حجاجية صريحة، فخطاب النبي -

ﷺ- يعدُّ نموذجًا ذهنيًا ذا فعالية تواصلية، فهو ليس خطابًا بسيطًا، ولا تواصلًا عاديًّا، فهو يهدف إلى التأثير في المتلقِّي وتشكيل قيمه وتصوّراته في هذه المرحلة العمرية، وقد حضرت آلية التكرار مكرسة وفق منهجية تداولية حسب السياق والمقام.

ثانيًا: الإحالة

للإحالة أهمية ودور في تماسك الكلام، فهي تعدُّ من أكثر الآليات اللغوية ظهورًا وانتشارًا في الكلام، كما أنها من أهم مفاتيح المتلقِّي للولوج إلى بنية النص وفهم مقاصده، فالغاية الأولية من تداولنا للغة وإجراء خطاب ما تتمثّل في تحقيق التفاهم، كما تظهر قيمة الإحالة في أنها تساعد على تحفيز المتلقِّي، وتثير انتباهه للعلاقة المعنوية، وإعمال ذهنه للربط بين السابق واللاحق.

والإحالة علاقة معنوية بين عنصرين لغويين، تؤدِّي دورًا مهمًّا في نسيج خيوط الربط بين كلمات النصّ وجمله وفقراته، وتعين على فهم السياق اللغوي، ولها في اللغة العربية أدوات محددة، كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وتكمن حجاجيتها في "أن العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[(١)].

وتنقسم الإحالة إلى إحالة مقامية أو سياقية وإحالة نصية أو خارجية، والنصية تنقسم إلى قبلية وبعدية، وهي بنوعيها تعدُّ وسيلة لغوية للحجاج، تجعل المتلقِّي يبحث عن الشيء المحال له، وأدوات الإحالة، وحتى يتوصّل إلى معناها يجب أن ينتبه إلى ما تسند إليه، فالضمائر -مثلًا- تكون إحالتها داخلية؛ أي:

(١) لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي، (ص١٦، ١٧).

داخل النص، ويكمن دورها في تحقيق التماسك كضمائر الغيبة والملكية، ومنها ما تكون إحالتها خارجية؛ أي: خارج النص كضمائر المتكلِّم والمخاطب.

وفي خطاب النبي -ﷺ- تأتي إحالة الضمير حسب أهمية العنصر في وحدة دلالية واحدة، فغالبًا يأتي في بدايتها كعنصر مركزي تعود إليه الضمائر المختلفة، ومن ذلك ما مرّ معنا آنفًا في الحديث المروي عن ابن الحويرث عندما قال: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عمَّن تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِم، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[(١)]، فهنا لفظ (الشَبَبَة) يعدُّ عنصرًا مركزيًا في هذا الحديث، تعود إليه الضمائر التالية **الضمير القبلي**: أتيـ (نا)، ونحن و**الضمائر البعدية**:

متقاربون (نحن) ، أقمـ (نا)، (أنا)، اشتقـ (نا)، أهلـ (نا)، فسألـ (نا)، تركـ (نا)، فأخبر (نا) هـ، ارجعـ (وا)، أهليـ (ك) م، فأقيمـ (وا)، صلـ (وا)، لـ (كم)، أحد (كم)، أكبر (كم).

فالضمائر تنوّعت ما بين متصلة ومنفصلة ومستترة، وبين ما هو ضمير متكلِّم وضمير مخاطب، فأغنت عن ذكر لفظ (**شَبَبَة**) في (٢٠) موضعًا، وهي تتطابق جنسًا وعددًا مع ما تحيل عليه، ومن ثم جعلت هذه الجمل والفقرات متتابعة مترابطة ومتماسكة، وكما لاحظنا أن الإحالة داخلية سياقية.

---

(١) سبق تخريجه.

وفي الحديث الذي مرّ معنا قوله -ﷺ-: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»[1]، نجد أن الضمير في (أعطاه) و(آمنه) يحيل إحالة داخلية قبلية تعود إلى عبد، ومن ثم قامت الإحالة بالربط الشكلي والدلالي بين الجملتين في الحديث، وبث التفاعل بين المتكلِّم والمتلقِّي.

غلبت الإحالة بالضمير على خطاب النبي -ﷺ- للشباب كما في النموذجين السابقين، وتنوّعت ما بين إحالة داخلية وخارجية؛ فكثرت الإحالة الداخلية؛ لمقدرتها على الربط بين الأحداث والأقوال، لذلك اتخذها الرسول الكريم -ﷺ- وسيلة تساعده على سبك الكلام وترابطه، أما الإحالة الخارجية على قلتها فقد أضفت على الخطاب التفاعل والمتعة، وربطت بين النص والسياق الخارجي له.

والإحالة تساعد على استمرار الخطاب ومن ثم تضمن عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب، فلها علاقة وطيدة بقصدية الخطاب فلا يتم بناء التركيب إلا عليها، وبذلك تتحقق الدلالة، مما يعني حجية توصيل غرض المتكلم من الخطاب ومن ثم تحقيق العملية التواصلية.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية

تتمثّل هذه الآليات في مجموعة من الأساليب البلاغية التي تحقِّق للخطاب القدرة على تحريك وجدان المتلقِّي، وقيادته إلى الرأي السديد، وتوجيه سلوكياته،

(١) سبق تخريجه.

والوصول إلى المعنى المراد، فالإقناع مرتبط بجمالية الخطاب ولفظه الرشيق وحسن معناه، ومدى التعالق الحاصل بين الجمال والإمتاع.

والخطاب النبوي الكريم بلغ مبلغًا في البيان البشري، فاستطاع الوصول إلى عقل متلقيه والنفاذ إلى قلبه، وتحقيق أهدافه الحجاجية دون مواجهات ولا مجابهات، فكان لهذه الآليات البلاغية دورٌ حجاجي كبيرٌ، وقد تنوّعت هذه الأساليب وتضافرت في الحديث الواحد، ونتوقّف عند أبرز ما ورد في خطاب النبي الكريم -ﷺ- للشباب من آليات بلاغية.

أولًا: الإيجاز

لأسلوب الإيجاز بقسميه المعروفين: إيجاز القصر وإيجاز الحذف[1] دور حجاجي بارز، يقوم به من خلال اتصاله بالبلاغة، فالخطاب الموجز أكثر بلاغة وأكثر وقعًا في النفس، وأشد تأثيرًا في ذهن المتلقِّي، كما أن القدرة على الإيجاز لا تؤتى إلا من لديه وعي وإدراك بدلالة المفردات وأحوال المخاطبين، ففي الإيجاز توسُّع في الدلالة الإيحائية، وهذا أدعى لتركيز انتباه المتلقِّي على الحدث المراد دون غيره.

وخطاب الرسول -ﷺ- هو في أعلى درجات البلاغة البشرية، وقد تحقَّق له جميع خصائصها، ومن أهمها خاصية الإيجاز.

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَبْعَثُنِي وَأَنَا شَابٌّ أَقْضِي بَيْنَهُمْ،

(١) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير، (١١٤/٢).

وَلَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ». قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ بَعْدُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ"[1].

فنبي الله لما رأى تهيُّب علي–رضي الله عنه– من هذا التكليف الذي كلّفه به وحساسية القضاء بين العباد، جاء خطابه –ﷺ– موجزًا مناسبًا لحال المخاطب، مقتصرًا على حركة من يده الكريمة ودعوة موجزة، فجمع –ﷺ– بين الفعل المؤنس والقول المؤنس، فضربته لصدر علي–رضي الله عنه–بعثت في نفسه التفاؤل والثقة بالنفس، والدعاء بث الطمأنينة والسكون فيه، فأكملت حركة اليد اللغة اللفظية، وأبانت عن المعنى، وأوصلت الفكرة وشرحت المقصود، وقوله: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ» كفيل برفع ثقته بنفسه، والتأثير فيه، ومن ثم الإقدام وتحقيق المراد، كما ساعد الجناس "قلبه، لسانه" بتوازن لغوي وإيقاع داخلي، أكسب الدعاء وقعًا حسنًا على المتلقِّي.

هذا الحديث حمل رسالة تتضمّن أن العمر ليس حائلًا للشباب ذوي الكفاءات، الذين لديهم مواهب وقدرة على تحمُّل المسؤولية، فالنبي –ﷺ– كان يعلم أن عليًّا –رضي الله عنه– قادر على هذه المهمة الحساسة، وواثق بقدرته على القضاء، فجاء خطابه محفّزًا.

يتضمَّن هذا الحديث القصير رؤية عميقة ورسالة عظيمة للفرد والمجتمع، فالدور الحجاجي للإيجاز يكمن في بلاغته، ولا شك أن الكلام البليغ أكثر قوّة ومن ثم أكثر إقناعًا.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب: الأحكام، باب: التغليظ في الحيف والرشوة، حديث رقم (٢٣١١)، (٤٠٩/٣).

فالإيجاز يُعدُّ من أهم خصائص الخطاب النبوي، فقد اهتمَّ النبي الكريم – ﷺ– ببيان الحقائق وتربية الأجيال في جمل قصار، تحمل بين طياتها الكثير من المعاني الجديدة؛ لتتمكّن من عقولهم وقلوبهم، فالخطاب النبويّ كلما "زدته فكرًا، زادك معنى"[(١)]، فالمتلقِّي في كل زمان ومكان يشعر كأن الخطاب موجَّه له.

ثانيًا: التفصيل بعد الإجمال

وفيه مزيد من الإقناع والتأثير في المتلقي حيث يأتي المعنى المتلقي بعد إعمال العقل وذلك في البحث عن بيان المجمل، وبعد توفره والوقوف عليه بعث في النفس راحة وثبت المعنى، والمتكلِّم يلجأ لهذه الألية حسب السياق وطبيعة الموضوع الذي يتكلّم فيه، وقد حضر هذا الأسلوب البلاغي في الخطاب النبوي في أبهى صوره محققًا دوره الإقناعي بجدارة، فلا نجد في الخطاب النبوي خيطًا وضع اعتباطًا يمكن نسله دون أن يتعرّض للخلل واضطراب البنية، بل نسج نسجًا مبدعًا بليغًا، لذلك استخدمت آلية التفصيل بعد الإجمال الحجاجية في موقعها؛ لتكريس المعنى وتمكينه في ذهن المتلقِّي، فالخطاب النبوي يعتمد التفصيل والتوضيح في إيصال الرسالة كاملة مستوفاة، ومن ذلك قوله –ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا

(١) وحي القلم، الرافعي، (٦/٣، ٧).

فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1]. جاء الحديث في صورتين تركيبيتين؛ الأولى: أجملت المعنى «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، فتشوّقت النفس إلى ما سيأتي بعده، وتتطلّع إلى معرفة ما تم إجماله، فمن هم السبعة الذين يحظون بهذه المنزلة؟ من هم الذين يتولّى الله -عزّ وجل- بنفسه أمرهم، يظلهم في ظله في يوم لا يوجد ظل غير ظله؟ وفي ذلك شرف، وأي شرف؟! فتحفّزت النفس في كيفية الوصول لتلك المكانة، فيأتي التركيب الثاني موضّحًا مفّسرًا، فيتمكّن المعنى في نفس المتلقّي، ويثبت في ذهنه، فإن المعنى "إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجّه إلى ما يرد بعد ذلك؛ فإذا ألقي كذلك تمكّن وكان شعورها به أتم"[2].

ففي الحديث حث على فعل الطاعات، حيث جاءت النتيجة المصدقة قبل المقدمة وفي هذا دعوة لاختيار الأعمال المناسبة لكل شخص حتى يفوز بالنتيجة الموعود بها.

وقد تكرّرت كلمة (رجل) عند توضحيه لهؤلاء السبعة: "رجل قلبه معلّق في المساجد، رجلان تحابا في الله، رجل دعته امرأة...، رجل تصدّق...، رجل ذكر الله..."، إلا في قوله: "شاب نشأ في عبادة الله تعالى"؛ فقد آثر لفظ (شاب) دون رجل؛ لأن العبادة أشقى وأشد على النفس من المراحل الأخرى للمسلم؛ لكثرة الدواعي وغلبة الشهوات، وقوله: (نشأ) دلالة على أنه تربّى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم (٦٦٠)، (١/١٣٣).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (ص١١٣).

على العبادة حتى ألفها، وأصبح يتلذّذ بها، فاستحق هذه المكانة، وكلمة (نشأ) تُبيّن أهمية دور الأسرة والأهل والمجتمع لوصول الشاب لهذه الصفة، وقد كرّست آلية التفصيل بعد الإجمال في الحديث الشريف؛ لإيصال المعنى تامًا متمكّنًا في ذهن السامع وشعوره، وبذلك قام بدوره الحجاجي في الخطاب.

ثالثًا: الاستعارة

وهي من أهم آليات الحجاج البلاغي؛ لدورها في إثراء الجانب الدلالي للتراكيب وبُعْدها الحجاجي، فللاستعارة قدرة فائقة في إقناع المتلقّي إلى مشاركة المتكلّم انفعالاته وإحساسه، والاستعارة هي نقل معنى معين إلى معنى آخر؛ لوجود مشابهة بينهما، ووجود قرينة دالّة على المعنى الجديد، فقوام الاستعارة من خلال السياق، حيث يوجّه المتلقّي إلى مقصد معين يرميه المتكلّم، وهذا هو الدور الحجاجي للاستعارة، وهو ما أكّده بيرلمان (perleman) بقوله: "يعتبر الشكل البلاغي برهانيًا كلما استطاع أن يولد تغيرًا في المنظور، وكان استخدامه طبيعيًا بالنسبة للموقف الجديد الموحى به"[(١)]، فالمتكلّم يعلم يقينًا أن ليس المقصود المعنى الحرفي للوحدة المعجمية، وكذلك المتلقّي الذي يبحث ذهنه عن السمات الدلالية المشتركة بين طرفي الاستعارة المستعار منه والمستعار له من خلال السياق والموقف الذي وردت فيه الاستعارة.

ومما يؤكّد أن الحجاج بالاستعارة أكثر إقناعًا وتأثيرًا في المتلقّي اتفاق البلاغيين على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح،

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص، (ص١٧٧).

فالسكاكي (ت٦٢٦هـ) يقول: "ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة، لكانت الحقيقة أولى منها استعمالًا"[١].

و"الاستعارة وجه بلاغي، تنتقل به دلالة اللفظ الحقيقية إلى دلالة أخرى لا تتناسب مع الأولى إلا عبر تشبيه مضمر في الفكر"[٢]، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى الاستعاري ليست من قبيل الصدفة أو الحكم الفردي للمتكلّم، وإنما هو نتيجة لتفكير منهجي مشترك بين المتكلّم والمتلقّي وحسب السياق الذي وردت فيه الآلية الاستعارية[٣].

ومن صور الاستعارة في خطاب النبي -ﷺ- للشباب ما جاء في الحديث السابق المروي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود: «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[٤]، فالصوم يقمع شهوة الجماع ويضعفها، فترك الطعام والشراب يضعف النفس، ويسد مجاري الدم التي ينفذ منها الشيطان، فيفيد هنا المنع والشد، وقد استعيرت كلمة الوجاء للصوم، وهي تعني رضّ الخصيتين للفحل من الأنعام ونحوها، وهي تبطل الشهوة الحيوانية عنده، ويقول بدر العيني في شرح كلمة وجاء :"وإطلاق الوجاء على الصيام من مجاز المشابهة"(٥).

---

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري، (ص٢٩٥).

(٢) البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، محمد أبو حميدة، (ص٢٧٩).

(٣) اشتغال التداولية في المجاز والكناية، إبراهيم رمضان، (ص٤٥، ٤٦).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (٦٨/٢٠).

والأمر "فليتزوج" مُقدَّم على الأمر بالصوم "فعليه بالصوم"، فالأصل الزواج لمن استطاع تحمُّل متطلباته ولديه القدرة، كما أن الأمر هنا هو جواب شرط، وقد اقترن بالفاء، وهذا فيه إرشاد إلى التعجُّل بالزواج إشباعًا لرغبات الشاب، فالخطاب خصص به الشباب؛ "لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ"[(١)]، وبيّن العلة في ذلك قائلًا: "فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج"، وهذا الأفضل، لذلك أوتي بصيغة التفضيل.

ولكن قد تحول دون زواج الشاب ظروف وأسباب مادية أو اجتماعية وغيرها الكثير، فيكون الصوم مانعًا قامعًا للشهوات، وقد عبَّر بكلمة (وجاء)، وهي استعارة حجاجية؛ لأنها ارتبطت بمقصد المتكلِّم والسياق الخطابي والتواصلي، يقول طه عبد الرحمن: "حد الحجاج أنّه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجّهات ظرفية وجدلية؛ لأن هدفه إقناعي، قائم على صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[(٢)].

فالاستعارة في الحديث السابق رسمت مسارا استدلاليا يتجلى خلاله إلى المعاني الضمنية التي يسعى الخطاب إلى إقناع المتلقي بها، وتوجيهه وترغيبه في فحواها، وبذلك تكون الصورة الاستعارية في الخطاب النبوي آلية حجاجية تقوم بدورها الإقناعي ترغيبًا كان أو ترهيبًا .

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٠٨/٩).

(٢) في أصول الحوار وتجديد الكلام، (ص٦٥).

فالوظيفة الحجاجية للاستعارة تقوم على بناء المدرك بالعقل لدى المخاطب على ما يعرف لديه بالحس، فالمدرك بالعقل أن النفس يحدث لها المنع والشد على الرغبات بسبب الصيام، كما يحدث للأنعام من رض الخصتين، وما يحدثه من إبطال للشهوة الحيوانية.

وهنا تمثل بنية الاستعارة في حد ذاتها عاملا حجاجيا فيها، إذ تجعل المتلقي يُعمل ذهنه وعقله لكشف قناع المعنى الذي تشير إليه، وبهذا يسمح السياق إلى نفاذ الدعوى إلى الأذهان والعقول والتسليم بها.

رابعًا: الكناية

من آليات الحجاج البلاغية الكناية، وهي آلية يلجأ إليها المتكلِّم؛ ليحقِّق غايته من الخطاب، والحجاج يعمل على البحث عن طرق إقناعية تجعل المتلقّي يذعن لما يُلقى عليه أو يزيد من درجة الإذعان لديه، والكناية تحرّض السامع للبحث وإعمال العقل؛ للتوصل إلى المعنى المكنَّى عنه، فالكناية تتكئ على عمق النظر والتروّي لدى المتلقّي؛ للوصول إلى المعنى، والعبور من خلال عمليات ذهنية استدلالية دون إغفال السياق الذي ترد فيه الكناية، فهي "ترفع من قيمة المعنى البعيد الذي تشير إليه في نظر المتلقي، وتعمل على توكيده في نفسه والاعتزاز به وتفخيمه"[(١)].

وقد عرَّف الجرجاني (ت٤٧١هـ) الكناية بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى

(١) آليات الحجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب)، عبد الجليل العشراوي، (ص٣٠٧).

هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلًا عليه"[١]، ومن ثم نجد أن القوة الحجاجية للكناية مستمدة من ظاهرة دفعها المتلقي إلى الإسهام في إنتاج قسم من كلام الأسلوب الكنائي هو القسم الضمني[٢].

وقد وظفت الكناية في الخطاب النبوي الشريف كما وظفت الآليات البلاغية بكل أنواعها، فكانت الكناية حاضرة في خطاب النبي -ﷺ- للشباب، فهي مثقلة بالقوة الحجاجية التي تعمل على التأثير في عقل المخاطب وذهنه ومن ثم إقناعه، ومن ذلك قول النبي -ﷺ- المروي عن أَبي يَحْيى -وَقيل: أَبي مُحَمَّد- سَهْلِ بن أَبي حَثْمة الأَنصاري: «انْطَلَقَ عبْدُاللَّهِ بنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ إِلى خَيْبَرَ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلى عبدِاللَّهِ بنِ سَهلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ في دمِهِ قَتيلًا، فدفَنَهُ، ثمَّ قَدِمَ المدِينَةَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مسْعُودٍ إِلى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَذَهَب عَبْدُالرَّحْمنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ :كَبِّرْ، كَبِّرْ، وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ، فَسَكَت، فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ: أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟» وَذَكَرَ تَمامَ الحدِيث[٣].

جاءت الكناية في قوله: "كبِّر كبِّر" عن احترام الأكبر سنًّا، فرغم صعوبة الموقف الذي وردت فيه الكناية، "يعلمهم النبي -ﷺ- الأدب الشرعي وأن

---

(١) دلائل الإعجاز، (٦٦/١).

(٢) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٦٥٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجزية، باب: الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره، حديث رقم (٣١٧٣)، (١٠١/٤).

يتكلّم الكبير"[1]، "فأسلوب الخطاب النبوي للشباب الذي جاء في سياق الرتبة الاجتماعية، والمنزلة الفكرية، يضع الشباب في موضعهم الصحيح، فيرشدهم للتعلُّم واكتساب الخبرات والمهارات والمعارف، ولكن ينبّههم إلى خطورة التصدُّر في المجتمع وأن تكون الشهرة بين الناس هدفًا لهم، ولهذا فإنه كان يكل إلى الشباب المناصب المناسبة لكفاءاتهم، ولكن إذا تعارض ذلك مع الأكفأ والأقدر ولا مزية للشباب عند ذلك"[2]، ومن ذلك ما ورد في هذا الحديث، فقوله: "كبِّر كبِّر" دلَّت على مدى حرص الرسول -ﷺ- على ترسية معاني الاحترام والتقدير في بناء شخصية الشاب المسلم مهما كان الظرف والموقف الذي يحلُّ به، فجاءت الكناية مختزلة ومكثّفة معنى احترام الكبير وتقديره وتقديمه في الكلام، وجمع الأسلوب بين الكناية والتكرار، حيث كرّر فعل الأمر (كبِّر)، مما زاد الكناية في زخمها التأثيري، وقام الإيقاع الداخلي لكلمة (كبِّر) بحمل مهمة أداء المعنى، فلك أن تتخيّل قوة الكلمة والشدة التي أحدثها تضعيف فاء الكلمة.

وقد أوكلت للكناية وظيفة حجاجية تكمن بإقناع الصحابي احترام من هم أكبر منه، ومن ثم إقناع كل مسلم يتلقّى هذا الحديث الشريف بأهمية صفة الاحترام وتقدير الأكبر بالسن.

ففهم الكناية في هذا الخطاب يتطلّب النظر إلى السياق الذي وردت فيه؛ حتى يتسنّى للمتلقي عملية التأويل وفهم المعنى الكنائي.

---

(١) شرح رياض الصالحين، أحمد حطيبة، (٧/١٧).

(٢) خصائص الخطاب النبوي للشباب (دراسة موضوعية تحليلية)، محمد أنس سرميني، (ص٢١٦).

كما يتطلّب فهم المعنى الكنائي متلقيًا غير عادي، وهذا ما يميّز الكناية في العملية التواصلية، فهي تتم مهما تنوّع مقام المتلقّي؛ لأنه أمام صورة تختلف درجة التأويل فيها ما بين الظاهر الواضح والمعنى الكنائي المؤول أيضًا، فالمعنى الكنائي لا يفيد زيادة في المعنى وحسب بل يفيد تأكيد المعنى.

خامسًا: الطباق

يعدُّ فن الطباق كغيره من الآليات الحجاجية، يُراد به تحقيق غايات خطابية معينة، فهو من آليات الحجاج والإقناع، وليس زينة بديعية يُحسِّن به المتكلِّم خطابه ويجمّله، إنما يأتي بها لتوضيح الكلام وتبينه، فهو يحصر الكلام بين الحجة التي يبتغيها وبين ضدها وينحو بها منحى حجاجيًا، فتساعد على بناء النص ومنحه قوة وتماسكًا وتلاحمًا بين أجزائه، وتكمن بلاغة الطباق في كونه يأتي في جمل قصيرة موجزة، تستهدف قلب المعنى وتوصله بطرق أقصر وأوضح، فالطباق يجنّب المتلقي التشتت في التركيز، فيصل المعنى لقلبه وعقله ويؤثّر فيه، فهو يقرّب المعنى ويؤكّده.

ويُعرف الطباق بأنه يجمع بين متضادين؛ أي: معنين متقابلين في الجملة[(١)]، فهو يقوم على العلاقة الظاهرة أو الخفية بين معنيين متضادين في الملفوظ الواحد، مع وجود تناسب بينهما يُسَوّغ الجمع بينهما لإفادة غرض ما[(٢)].

ولا شك أن إبراز المفارقة من خلال المجاورة بين الضدين يعمّق الشعور بالمعنى، وهذا ما أدركه النبي الكريم -ﷺ-، ففي قوله -ﷺ-: «اغْتَنِمْ خَمْسًا

(١) الإيضاح في البلاغة، القزويني، (٦/٨).

(٢) آليات الإقناع في الخطاب القرآني، هشام بلخير، (ص١٤٥).

قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[1] ، فلو اكتفى -عليه الصلاة والسلام- بقول: فراغك، وصحتك، وغناك، وشبابك، وحياتك؛ لمرّت هذه الألفاظ على المتلقِّي مرورًا بسيطًا سريعًا، لا تخلّف أثرًا قويًّا، ولا تثير المشاعر والحواس كما في الحديث الشريف، فعندما ذُكر مع كل لفظة ضدّها تنبّه المتلقِّي إلى العاقبة في كل أمر، فالشباب كما باقي الأمور الأخرى التي وردت في الحديث ليست دائمة، والمسلم الفطن يستغل شبابه وقوته وفتوّته قبل فوات الأوان، وقد ساعد الطباق على إيصال المعنى إلى أعماق نفس المتلقّي واستثارته؛ لاغتنام ما يُطلب منه اغتنامه، فالطباق جاء عفويًا أصيلًا لا تكلّف فيه، فأصبحت الحجة في الحديث أقوى وأقدر على اقتحام عقل المتلقّي وإحساسه ومشاعره ومن ثم إقناعه وتغييره، فتظهر القيمة الحجاجية والتي تحفّز المتلقّي وتدفعه إلى استغلال شبابه بالأعمال الصالحة، وبهذا تحصل قصدية الرسالة في الحديث.

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب: الرقاق، حديث رقم (٧٨٤٦)، (٤/٣٤١).

الخاتمة

وبعد أن نعمت بهذه الصحبة المباركة لخطاب النبي الكريم -ﷺ-، سعيت جاهدة للوقوف مع هذا الخطاب الشريف الموجَّه للشباب؛ للنظر في مقاربة الآليات الحجاجية تداوليًّا، وبيان ما تميّزت به كل آلية، وكيف حقَّقت وظيفتها، فتوصّلت إلى عدة نتائج، وهي:

١. تكاملت للخطاب النبوي الكريم الأبعاد الحجاجية المتفرّدة عن غيرها؛ لما للخطاب النبوي من خصوصية دينية وتشريعية، فهو لا ينبني على حجج عقلية خالصة كما جاء في النظريات الغربية، فهي تأتي للإقناع والتأثير، ومن ثم تحقِّق غاية إبلاغية تبليغية.

٢. كما أن للخطاب النبوي خصوصية سياقية تداولية، فلا يمكن أن ندرسه بمعزل عنها؛ لأن للحجاج في الخطاب النبوي ميسمًا خاصًا، وإن اشترك مع غيره من الخطابات النبوية الأخرى.

٣. جاءت الآليات الحجاجية في خطاب النبي -ﷺ- للشباب متناسبة مع هذه المرحلة المهمّة والحساسة.

٤. ساعدت الروابط الحجاجية على انسجام الكلام وترابط مفاصله؛ للوصول إلى النتيجة المرجوّة في خطاب النبي -ﷺ-، وقد برز حرف (الواو) كرابط له النصيب الأعلى؛ لدوره الفعال في ترابط الحجج، ثم جاء حرف (الفاء) الذي يربط الحجة بالنتيجة والتعليل، أما حرفا (إلا وإن) فكان حضورهما قليلًا لكنهما مهمّان وفعّالان.

٥. انتظمت الحجج في خطاب النبي -ﷺ- للشباب في سلالم حجاجية حتى يصل الشاب إلى النتيجة بنفسه ويحصل الاقتناع.

٦. تبوّأت الأفعال الكلامية الإنجازية في خطاب النبي الكريم -ﷺ- مساحة واسعة، أما بالنسبة لخطابه -ﷺ- الموجَّه للشباب فجاء في ثلاث صور، هي: النداء، الأمر، الاستفهام.

٧. ارتبطت آلية التكرار بدرجة كبيرة بالتأثير على المتلقِّي وتوجيهه، لذلك حرص النبي -ﷺ- على استثمارها في خطابه، ومن ذلك خطابه الموجَّه للشباب، فهو يحمل قوة إنجازية ذات بعد تداولي، فكرّست حسب السياق والمقام.

٨. للإحالة وظيفة حجاجية مُسلَّم بها، تتمثّل في تماسك الكلام، فهي تعد أكثر الآليات انتشارًا، وقد جاءت في خطابه -ﷺ- حسب أهمية العنصر في الوحدة الدلالية الواحدة، وقد تنوّعت الضمائر ما بين متصلة ومنفصلة ومستترة، وقد كانت الإحالة الداخلية هي المتصدرة في خطابه -ﷺ- للشباب.

٩. يعدّ العلماء الإيجاز أعلى درجات البلاغة البشرية، وقد مثّل خطاب النبي -ﷺ- الإيجاز في أفضل صورة، فقد قام بدوره الحجاجي؛ لأنه أكثر قوة وإقناعًا في سياقه.

١٠. ظهرت قيمة التفصيل بعد الإجمال وتقديم المقدمة على النتيجة فأدى دوره في التحفيز والتسابق في فعل الطاعات .

١١. للاستعارة والكناية قيمة حجاجية كبيرة، ولهما دور جبّار في خطاب النبي الكريم -ﷺ-، لكن حضورهما في خطاب النبي -ﷺ- للشباب نادر.

١٢. ظهرت قيمة الطباق الحجاجية ودوره في تحفيز المتلقِّي، لذلك نجده في معظم أحاديث النبي -ﷺ- ومنها الموجّه للشباب.

وحرى بنا بعد رصد أبرز نتائج الدراسة، أن نؤكد أن البحث في حجاج الخطاب النبوي ما يزال أرضا خصبة لمن ينبري له بالتأمل والدراسة والبحث؛ لأنه يعد بنتائج لها قيمة علمية تخدم الحديث النبوي هذا والله أعلم.

المصادر والمراجع

- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- استراتيجات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتب الجديدة المتحدة،بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- اشتغال التداولية في المجاز والكناية، إبراهيم رمضان، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، مصر، ٢٠٢٠م.
- آفاق العصر، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٧م.
- الإقناع في الخطاب التربوي؛ مقاربة تواصلية حجاجية، محمد البو زيدي،د.ط، د.ت.
- آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجًا، هشام بلخير، تحقيق: محمد بو عمامة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٢م.
- آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عبد الجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٦م.
- الآليات الحجاجية في مقامات بديع الزمان الهمذاني مقاربة تداولية، فتحية غزال، محمد قراش، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، ٢٠٢٢م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.
- البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، محمد صلاح أبو حميدة، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠٠٧م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، ١٤٢٣هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١م).
- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الحديث، ط١، ٢٠٠٦م.
- التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.ت.
- تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، مكة، ط٢، ١٩٩٩م.
- التقنيات الحجاجية في شعر معن بن أوس، جوزاء العنزي، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد الحادي عشر، الجزء الأول، ٢٠٢١.
- التلخيص في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٠٤م.
- الحجاج في الحديث النبوي –دراسة تداولية – آمال المغامسي، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٦.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد، د.ط، ٢٠١١م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، منشورات كلية الآداب بمنوبة، جامعة منوبة–تونس، ٢٠٠١.
- الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، الحبيب أعراب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد الثلاثون، العدد الأول، ص٩٩.
- الحجاج والخطاب، أبو بكر العزاوي، الأحمدية للنشر والتوزيع، المغرب، د.ط،٢٠١٠ م.

- خصائص الخطاب النبوي للشباب (دراسة موضوعية تحليلية)، محمد أنس سرميني، مجلة الشهاب، ٢٠٢٠م، ص٢٠٦.
- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه –دراسة تطبيقية في كتاب المساكين ل"الرافعي"، هاجرمدقن، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون، جامعة ورقاة، الجزائر، ٢٠٠٣م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.
- الشباب في السنة النبوية، نافذ حماد ووليد غرباوي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية المجلد التاسع عشر، العدد الأول، ٣١ يناير/كانون الثاني ٢٠١١م.
- شرح رياض الصالحين، أحمد حطيبة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ١٣١١هـ.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط، ١٩٥٥م.
- ظاهرة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي: مقاربة تداولية لخطبة حجة الوداع، حبيب بوزواده، جذور، العدد: ٣٥.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، تحقيق: عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ٢٠٠١م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، كتب أبوابه وأحاديثه: محمد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
- في أصول الحوار وتجديد الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠،
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠١م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحن، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، د.ط،١٩٩٨م.
- لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي، دار المركز الثقافي، الدار البيضاء، د.ط، ١٩٩١م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- المستدرك على الصحيين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط،١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.
- مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانقونو دومنيك، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، د.ط، ٢٠٠٨م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٩٧٩م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبَرِّد، تحقيق: محمد عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٩٩٦م.

- مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، بلنسية للطبع والنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م.
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، محمد الخضيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

Sources and references:

- Al-Ihkam fi Usul al-Ahkam, Ali bin Muhammad Al-Amidi, commentary by: Abdul Razzaq Afifi, Al-Maktab Al-Islaami, Damascus, 2nd edition, 1402 AH.
- Asaas Al-Balaagha, Mahmoud bin Omar bin Muhammad bin Ahmed Al-Khwarizmi Al-Zamakhshari, Dar Sader, Beirut, 1st edition, 1992.
- Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach (Arabic), Abd al-Hadi al-Shehri, Daar Al-Kutub Al-Jadeedah, Beirut, 1st Edition, 2004.
- Al-Ashbaah wa Al-Nazaair fi Al-Lugha, Jalal al-Din al-Suyuti, Al-Risala Foundation, Beirut, 1st edition, 1985 AD.
- Activating Pragmatism in Al-Majaaz and Al-Kinaayah (Arabic), Ibrahim Ramadan, Yearbook of the Faculty of Arabic Language in Menufiya, Egypt, 2020.
- Aafaaq Al-'Asr, Jaber 'Usfour, The Egyptian General Book Organization, N. P., 1997 AD.
- Persuasion in the Educational Discourse; An Argumentative Communicative Approach (Arabic), Muhammad Albu Zaidi, Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Mechanisms of Persuasion in the Quranic Discourse, Surat Al-Shu'ara as Case Study (Arabic), Hisham Belkhair, investigation: Muhammad Bou Amama, Université Colonel Hadj Lakhdar, Batna, 2012 AD.
- The Mechanisms of Quranic Argument, A Study in the Texts of Al-Encouragement and Warning (Arabic), Abdul-Jalil Al-Ashrawi, 'Aalam Al-Kutub Al-Hadeeth, Irbid, 2016 AD.
- Argumentative Mechanisms in the Maqaamaat of Badi' al-Zaman al-Hamdhani, A Pragmatic Approach (Arabic), Fathia Ghazal, Muhammad Qarash, Journal of Arabic Language Sciences and Literature, Vol. 14, No. 1, 2022 AD.
- Rhetoric of Discourse and Textual Science (Arabic), Salah Fadl, 'Aalam Al-Ma'rifah, 1992 AD.
- Rhetoric and Stylistics According to Al-Sakaki Arabic), Muhammad Salah Abu Hamida, Al-Azhar University, Gaza, 2007.
- Al-Bayaan wa Al-Tabyeen, Amr bin Bahr Al-Jahiz, Daar wa Maktabah Al-Hilal, Beirut, N.E., 1423 AH.
- Taaj Al-'Aruus min Jawaahir Al-Qaamuus, Muhammad Murtada Al-Husseini Al-Zubaidi, Investigation: A group of specialists, published by: Ministry of Guidance and News in Kuwait - National Council for Culture, Arts and Literature in the State of Kuwait, years of publication: (1385 - 1422 AH) = (1965 - 2001 AD).

- Argumentation: Its Nature, Fields, and Functions (Arabic), Hamo Al-Naqari, Publications of the Faculty of Arts and Humanities in Rabat, Al-Najah Al-Hadith Press, 1st Edition, 2006 AD.
- Pragmatics among Arab Scholars (Arabic), Masoud Sahrawi, Dar Al-Talee'ah, Beirut, N. E, N. D.
- Tafseer Ibn Katheer = Tafseer Al-Qur'aan Al-'Adheem, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi, investigation: Sami Al-Salama, Dar Taibah for Publishing and Distribution, 2nd edition, 1999,
- Argumentative Techniques in the Poetry of Maan Bin Aws (Arabic), Jawza Al-Anzi, Journal of the Islamic University of Arabic Language and Literature, 11th Issue, Part 1, 2021 AD, p. 640.
- Al-Talkhees fi Uloom al-Balaghah, Muhammad bin Abd al-Rahman al-Qazwini, Dar al-Fikr al-Arabi, 1st edition, 1904 AD.
- Argument in the Prophetic Hadith - A Pragmatic Study (Arabic) - Amal Al-Maghamisi, Al-Mutawasat Publishing House, N. E, N. D.
- Argument in Arabic Poetry, Its Structure and Methods (Arabic), Samia Al-Duraidi, 'Aalam Al-Kutub Al-Hadeeth, Jordan, N. E., 2011 AD.
- Argument in the Qur'an Through its Most Important Stylistic Characteristics (Arabic), Abdullah Sawla, Publications of the Faculty of Arts in Manouba, University of Manouba-Tunisia, 2001.
- Arguments and Argumentative Reasoning: Elements of a Theoretical Inquiry (Arabic), Al-Habib A'raab, National Council for Culture, Arts and Literature, World of Thought, Volume Thirty, Issue One, p. 99.
- Argument and Discourse (Arabic), Abu Bakr Al-Azzawi, Al-Ahmadiyya for Publishing and Distribution, Morocco, N. E., 2010 AD.
- Characteristics of the Prophet's Discourse for Youth (An Objective-Analytical Study) (Arabic), Muhammad Anas Sarmini, Al-Shihab Magazine, 2020 AD, p. 206.
- The Argumentative Discourse, Its Types and Characteristics - An Applied Study in the Book Al-Masakeen by "Al-Rafa'i", Hajar Madqin, Master's thesis, Faculty of Arts and Arts, Warqa University, Algeria, 2003 AD.
- Dalaail Al-I'jaaz, Abdel-Qaher Al-Jurjani, investigation: Mahmoud Shaker, Al-Madani Press, Cairo, 3rd edition, 1992 AD.
- Sunan Ibn Majah, Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad bin Yazid Al-Qazwini, investigation by Muhammad Abdul-Baqi, Arab Book Revival House, N. E N. D.
- The Youths in the Prophetic Sunnah, Nafez Hammad and Walid Gharbawi, Journal of the Islamic University for Islamic Studies, Volume XIX, Issue 1, (January 31, 2011), pp. 1-33.

- Sharh Riyad Al-Salihin, Ahmed Hatiba, audio lessons that were uploaded by the Islamic Network website
- Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughira bin Bardzbeh Al-Bukhari Al-Jaafi, Investigation: A group of scholars, Al-Sultaniyya edition, Al-Kubra Al-Amiriya Press, Bulaq, Egypt, 1311 AH.
- Sahih Muslim, Abu Al-Hussein Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushairi Al-Nisaburi, investigation: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Issa Al-Babi Al-Halabi Press and Partners, Cairo, N. E., 1955 AD.
- The Phenomenon of Vocal Verbs in the Prophetic Discourse: A Pragmatic Approach to the Farewell Pilgrimage Sermon (Arabic), Habib Bouzawada, Roots, Issue: 35, p. 230.
- Umdat al-Qari, Sharh Sahih al-Bukhari, Badr al-Din Abi Muhammad Mahmoud bin Ahmad al-Ayni, investigation: Abdullah Mahmoud Omar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 2001 AD.
- Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari, Ibn Hajar Al-Asqalani, Its chapters and hadiths written by: Muhammad Abdul-Baqi, Dar Al-Maarifa, Beirut, 1379 AH.
- Philosophy and Rhetoric: An Argumentative Approach to Philosophical Discourse (Arabic), Nasir ‘Amaarah, Al-Ikhtif Publications, Algeria, 1st edition, 2009 AD.
- On the Fundamentals of Dialogue and Revival of Speech (Arabic), Taha Abdel Rahman, The Arab Cultural Center, Casablanca, 2nd edition, 2000,
- Issues of Arabic Language in Functional Linguistics (Arabic), Ahmed Al-Mutawakel, Dar Al-Aman for Publishing and Distribution, Rabat, 2001.
- Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Manzoor, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
- Al-Lisaan wa Al-Meezaan, aw Al-Takawthar Al-‘Aqli, Taha Abdel-Rahman, The Arab Cultural Center, Casablanca, N. E, 1998 AD.
- Linguistics of the Text: An Introduction to the Harmony of the Text (Arabic), Muhammad Khatabi, Dar Al-Cultural Center, Casablanca, N. E, 1991 AD.
- Al-Muthul Al-Saair fi Adab Al-Kaatib wa Al-Shaa’ir, Diaa al-Din ibn al-Atheer, investigation: Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid, Al-Maktaba al-Asriyya, Beirut, 1st edition, 1995 AD.
- Al-Mustadrak ‘alaa Al-Saheehayn, Muhammad bin Abdullah Al-Hakim Al-Nisaburi, study and investigation: Mustafa Atta, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, N. E, 1990 AD.

- Musnad Imam Ahmed bin Hanbal, investigation: Shoaib Al-Arnaout, Adel Morshed and others, supervision: Abdullah Al-Turki, Al-Risala Foundation, 1st edition, 2001 AD.
- Mustalahaat Al-Matafeeh li Tahleel Al-Khitaab, Mangono Dominic, translated by: Muhammad Yahyatin, Arab House of Science, Beirut, N.E., 2008 AD.
- Maqayees Al-Lugha, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini, investigation: Abdul Salam Haroun, Dar Al-Fikr, N. E, 1979 AD.
- Al-Muqtadab, Muhammad ibn Yazid ibn Abd al-Akbar, known as al-Mubarrid, investigation: Muhammad Azima, ‘Aalam Al-Kutub, Beirut, N. E, 1996 AD.
- An Introduction to the Theory of Prophetic Rhetoric, the Context and Guidance of the Meaning of the Text (Arabic), Eid Balbaa, Valencia for printing and publishing, 1st edition, 2008 AD.
- Min Asraar Hurouf Al-‘Atf fi Al-Dhikr Al-Hakeem, Muhammad Al-Khudairi, Wahba Library, Cairo, 1st edition, 1993 AD.
- Al-Minhaj Explanation of Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, Abu Zakariya Muhyiddin Yahya bin Sharaf Al-Nawawi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 2nd edition, 1392 AH.
- Wahy al-Qalam, Mustafa Sadiq al-Rafi'i, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st edition, 2000 AD.